موقف غوستاف لوبون من العصر الجاهليّ
في كتابه حضارة العرب

دكتور/ عمر عبد الله أحمد شحادة الفجّاويّ*

الحمـــد لله وكفى، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد الذّي اصطفى، وصحابته المنتجبين الحنفا ، أمّا بعد،

فقد صرفت جهداً في الاطّلاع على كتاب "حضارة العرب" لغوستاف لوبون، ووجدت فـــيه قضـــايا تحتاج إلى التلبّث معها إعجاباً بالرّجل تارة، وردّاً عليه طوراً آخر، وأنا معنيّ في هذا البحث بما تكلّم به صاحبنا على العرب وأحوالهم في العصر الجاهليّ.

لقـــد ألفيت لوبون وقد احتفى بالعرب قبل الإسلام احتفاءً عزّ نظيره حتّى عند بعض بني قومنا، وقدّم في قراءته للعصر الجاهليّ آراء تستحقّ التّقدير والاحترام، وأخفق في مواضع ناقشناها حيـــث وردت، ولكـــنّها لا تقـــوم شائنة ولا ذاماً أمام الفضائل الكثيرة التي ذكرها لهذا العصر وللعرب أنفسهم.

وحسبنا في دراستنا لآرائه ومواقفه أنّ بعض القضايا التي أوردها خطفاً ومسّها مسّاً رقيقاً قـــد جلوناهـــا وأفضنا في توضيحها، أمّا ما رأيناه غير دقيق، فقد رددنا عليه ردّاً علميّاً موثقاً، فيه الدّليل والبرهان القائمان على العقل والنّقل.

ويكفـــي صـــاحبنا نـــزاهة أنّه تحدّث عن العرب في الجاهليّة حديثاً كريماً، إذ نفى عنهم بالـــبرهان العقليّ أن يكونوا همجاً، وقدّم الدّليل على قدرتهم على القيام بأعباء الرّسالة الإسلاميّة ونقلها إلى العالمين.

وهذا البحث عرض لآراء الرّجل وقراءة لها، أسأل الله السّداد والرّشاد فيما ندبت نفسي إليه، وله تعالى الأمر من قبل ومن بعد.

---

* كلية الآداب ـــ قـــم اللغة العربية وآدابها ـــ الجامعة الهاشمية ـــ الأردن.

عرض آراء السابقين :

يعرض غوستاف لوبون آراء من سبقوه في العصر الجاهلي، ويفصل هذه الآراء، ويكتفي بالإشـــارة إلـــيها دون تحديد أصحابها بأسمائهم بادئ الأمر، فيقول" :رأى الكثيرون أنه لا تاريخ للعرب قبل ظهور محمّد، وحجّتهم في ذلك أن العرب قبل ظهور محمّد، إذ كانوا مؤلفين من قبائل متنقلة عاطلة من العنعنات ، كانوا من الأحلاف الذين لم تع ذاكرة الإنسان شيئاً عنهم[1].

ثمّ يحدد واحداً من هؤلاء الكثيرين ويخصّه بإثبات رأيه والرد عليه، وهو رينان، فيقول" : وإلى مـــثل هذا الرأي ذهب بعض الأذكياء المعاصرين، ومنهم مؤلف تاريخ اللغات السامية الشهر ريـــنان، الـــذي قال" :لا مكان لبلاد العرب في تاريخ العالم السياسي والثقافي والديني قبل ذلك الانقـــلاب المفاجئ والخارق للعادة الذي صار به العرب أمّة فاتحة مبدعة، ولم يكن لجزيرة العرب شـــأن في القـــرون الأولى من الميلاد حين كانت غارقة في دياجير ما قبل التاريخ، ولم يظهر بأسها وبسالتها إلاّ بعد القرن السادس من الميلاد[2].

الردّ بالبرهان العقليّ :

وبعـــد إثـــبات هذا الرّأي، يناقشه مناقشة علميّة قائمة على تقديم البرهان العقليّ ، فهو يـــرفض رأي ريـــنان ويعدّه فاسداً ويبين أن المنطق لا يقبل ظهور أمّة على مسرح التاريخ بلغتها وحضارتها إلاّ بعد تدرج بين في التقدم للوصول إلى الرقي والرفعة، فيقول" :وعندنا أن هذا الرّأي فاسد أوّل وهلة، ولو لم نعلم شيئاً عن ماضي العرب، فإن أمكن ظهور حضارة أمّة ولغتها بغتة على مســـرح الـــتاريخ لا يكون هذا إلاّ نتيجة نضج بطيء ، فلا يتمّ تطوّر الأشخاص والأمم والنّظم والمعتقدات إلاّ بالتدريج، ولا تبْلَغُ درجة التطوّر العالية التي تبدو للعيان إلاّ بعد الصعود في درجات أخرى"[3].

ويلحّ على هذا البرهان العقليّ، فلا يكتفي بمثال واحد، بل يقدم مثالاً ثانياً بعد أن يضع القاعدة العامّة، فالقاعدة العامّة عنده هي ضرورة النضج البطيء في ظهور أي شيء، فما بالك إذا كان أمّة لها حضارة وثقافة؟ والمثال بعد هذه القاعدة هو أن الأشخاص والأمم والنّظم والمعتقدات لا تتطور إلا بالتدريج .

ثم يقدم مثالاً ثالثاً عقلياً، إذ لا يصدّق ظهور أمّة بحضارة راقية إلاّ أن تكون هذه الحضارة ثمرة ماضٍ طويلٍ، فيقول" :وإذا ما ظهرت أمّة ذات حضارة راقية على مسرح التاريخ، قلنا :إنّ

هذه الحضارة ثمرة ماضٍ طويل..."[٤].

ويلحف في البرهان العقليّ، فيقول" :ولا يعني جهلنا لهذا الماضي الطويل عدم وجوده، وتؤدي مباحث العلم في الغالب إلى عرض هذا الماضي للناظرين"[٥].

وهـــذا إيغال من غوستاف لوبون في الدفاع عن العصر الجاهلي وكأنه قد تمثل القاعدة الأصوليّة" :عدم وجود الدليل، لا يدل على عدم وجود المدلول ..." و "الحكم على الشيء فرع من تصوره" ؛ لذا، فهو يبيّن أنّ جهلنا بالعصر الجاهليّ لا يعني عدم وجود هذا العصر .

وحين انتهى من تقديم براهينه، يقدم رؤيته عن العصر الجاهليّ، فأمر هذا العصر منسجم مـــع تلك البراهين، وحضارته تشبه حضارة الآشوريّين والبابليّين، فيقول" :ولم يكن أمر حضارة العرب قبل ظهور محمّد غير ذلك، وإن عسر علينا أن نقول كيف كانت هذه الحضارة، فقد أثبتت الآثار والوثائق التي بأيدينا وجودها وأنها لم تكن -على ما يحتمل -دون حضارة الآشوريين والبابليين اللتين ظهر شأنهما حديثاً بفضل علم الآثار بعد أن كانتا مجهولتين"[٦].

سبب الوهم في همجيّة العرب

يسم غوستاف لوبون البند الأوّل من الفصل الثّالث " :العرب قبل ظهور محمّد "بـــ" الوهم في همجيّة العرب قبل ظهور محمّد:"، وهذا العنوان يغري الباحث بالتّظر فيه، وتدبّره، ويجد فيه الأمرين الآتيين :

١. سمّى لوبون هذا الفصل "العرب قبل ظهور محمّد "وفي هذا دعوة للتفكر والتساؤل ، إذ لم يســـمّه العصـــر الجاهـــليّ، ولعلّ هذا -في تقديري -من شدّة نزاهة الرّجل وموضوعيّته وإنصافه للعرب، إذ أبى وصفهم بالجاهلين ووصف عصرهم بالجاهليّ، فأخرج نفسه من دائرة الحرج، وآثر السلامة، فسمّاه "العرب قبل ظهور محمّد"، وهـــذا -كذلـــك - فيه تقدير لهذا النبي صلى الله عليه وسلم، إذ جعله فيصلاً بين عصرين.

٢. كمـــا سمّى البند الأوّل "الوهم في همجيّة العرب قبل ظهور محمّد"،وهذا إنباء أنّ غوستاف لوبون رافض لهمجيّة العرب قبل أن يدخل في التفاصيل، فقد جاء بكلمة الوهم، فيدلّل على أنّهم ليسوا كذلك .

أمّا سبب هذا الوهم، فيعزوه إلى عدم التفريق بين أهل البدو وأهل الحضر، فيقول" :ولم ينشـــأ وهم النّاس في هجيّة العرب قبل ظهور محمّد عن سكوت التّاريخ فقط، بل نشأ، أيضاً، عن عدم التّفريق بين أهل البدو وأهل الحضر من العرب"[٧].

البرهان النقلي :

يقدم غوستاف لوبون برهانه النقليّ في تفنيد هذا الوهم، فيعرّف الأعراب أنّهم أجلاف كأجلاف الأمم الأخرى، وهم ليسوا غير فرع من فرعي الأرومة العربية[٨].

فـــنجده يميز الأعراب من الحضر بما عرفه المثقف العربي، ولكن يؤخذ عليه أنه لا يوثّق معلوماته التي يثبتها في كتابه.

أمّا العرب المتحضّرون فهم المقيمون بالمدن والماهرون في أمور الزّراعة، ويرى أنّه يسهل علينا أن نثبت وجود حضارة عظيمة لهؤلاء المتحضّرين من العرب وإن كنّا لا نعرف تفاصيلها"[٩]

إنّ غوستاف لوبون يقدّم لنا صورة مهمّة وواضحة عن معرفة العرب بالزّراعة، وقد ألمع إلى هذا إلماعة، دون أن يفصّل، وحسبنا أن ننظر في كتاب الله تعالى لنتبين أنه قد ورد ذكر عدد من المـــزروعات، ونحن نؤمن أنّ الله تعالى قد أنزل القرآن على العرب بلغتهم، وخاطبهم بما يعلمون، فذكر المزروعات دال على أن العرب قد عرفوها، وزرعوها، فمثلاً، قال تعالى: "...أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون"[١٠]، و: "والتين والزّيتون، وطور سينين"[١١]، و: "وفاكهة ممّا يتخيّرون"[١٢]، و: "والزّيتون والرّمّان مشتبهاً وغير متشابه" .[١٣]

وقد أورد عرام بن الأصبغ السلمي أسماء عدد كبير من الخضراوات والفواكه التي كانت تـــزرع، كالبقول والبطيخ[١٤]، والعرعر، والقَرَظ والبشام[١٥]، ويقول عرام في حديثه عن مكان اسمه: "وَرْمَان" :"وفي وَرْمَان أنواع الشّجر المثمر كلّه وغير المثمر"[١٦]، وليس هذا أوان التبسط في ذكـــر هـــذه الأنواع من الخضراوات والفواكه ولا مكانه، وهي مبثوثة في كتاب عرام الذي اقتبسنا منه المعلومات الآنفة .

كل تلك إشارات مهمّة إلى أن العرب قد عرفوا الزّراعة ومارسوها، وما داموا كذلك، فقد كان قسم كبير منهم مستوطناً غير راحل؛ لأنّ مهنة الزّراعة تقتضي التلبّث في المكان والإقامة فـــيه لـــرعاية الزّروع، وهذا يقودها إلى أنّ العرب قد عرفوا المهن، واحترفوا، بدلالة الأشعار في

ذلك، كمهنة الصّائد التي تمتلئ كثير من القصائد الجاهلية بالحديث عنه، ومشتار العسل والغواص، كما في قول الأعشى :

كأنهـــا درّة زهـــراء أخـــرجها غـــوّاص داريـــن يخشـــى دونها الغرقا[17]

وكان الغوّاص يسمّى القامس، كما في قول أبي ذؤيب:

كـــأنّ ابـــنة السّـــهميّ درّة قـــامسٍ لهـــا بعـــد تقطـــيع النـــبوح وهـــيج[18]

ويســـتمر غوستاف في تقديم البرهان النقليّ على حضارة العرب في العصر الجاهليّ، أو كما سمّاه: "قبل ظهور محمّد "إذ يقدّم برهانين نقليين، هما :

الأوّل :الآداب الناضجة واللغة الرّاقية :

يكتفي صاحبنا بالإشارة الخاطفة إلى الآداب واللغة، وكأنّما يقدّم لنا لباب ما توصّل إليه، بعد أن بدا واضحاً اطّلاعه على الأدب الجاهلي ولغته، فيقول: "ولم يكن التاريخ صامتاً إزاء ثقافة العـــرب القديمـــة صمته إزاء الحضارات الأخرى التي رفع العلم الحديث عنها التراب، ولو كان الـــتاريخ صـــامتاً إزاء حضارة العرب، لقطعنا، مع ذلك، بوجودها قبل ظهور محمّد بزمن طويل، ويكفي لتمثّلها أن نذكر أنه كان للعرب قبل ظهور محمّد آداب ناضجة ولغة راقية"[19].

وأرى أنّ مـــن الفضول الاستبحار في الحديث عن الأدب واللغة في العصر الجاهليّ؛ لأن الأدب في ذلـــك العصر منكشف ولا يجمل التلبّث معه في هذه العجالة؛ لأنه أكبر من أن تحيط به صفحات هذ البحث.

الآخر :الصّلات التّجاريّة

يشـــير غوستاف لوبون إلى العلاقات التّجاريّة التي كانت بين العرب وغيرهم من الأمم فيقول: "...وأنّهم كانوا ذوي صلات تجاريّة بأرقى أمم العالم منذ القديم، فاستطاعوا في أقلّ من مئة سنة أن يقيموا حضارة من أنضر الحضارات التي عرفها التاريخ"[20].

وقـــد شـــهد الشّعر الجاهليّ بهذه الصّلات، عن طريق ذكر كثير من الأقوام، وما دام ذكـــرهم وارداً في الشّعر، فهذا يعني أن علائق تجاريّة قد نشأت بعد ذلك، وما الأسواق التي كان العرب يقيمونها كعكاظ وذي المجاز وذي المجنّة إلاّ دليل على تلك الصّلات .

كمـا أنّ في الشـعر الجاهلي إشارات دالّة على نشاط اقتصادي واضح، فهذا المرقّش الأصـغر يذكر السوق وبيع الخمر، في أثناء حديثه عن فم محبوبته، إذ يشبّهه بأنه ألذّ من الخمر، فيقول :

وما قهوة صهباء كالمسك ريحها ... تطان على الناجود طوراً وتترحُ

ثوت في سباء الدّنّ عشرين حجّة ... يطان عليها قر مد وتُروّحُ

سباها رجال من يهود تواعدوا ... بجيلان يدنيها من السوق مُرْبِحُ

بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً ... من الليل بل فوها ألذّ وأنضحُ[٢١]

ونجد الشماخ يذكر السوق وطريقة بيع قوسه،والمماكسة التي حدثت بين البيع والمشتري، فيقول :

فواقى بها أهل المواسم، فانبرى ... له بيّع يُغلي بها السّوْمَ رائزُ

فقال له: هل تشتريها؟ فإنها ... تباع إذا بيع النّتلاذُ الحرائزُ

فقال له: بايع أخاكَ، ولا يكن ... لك اليومَ عن بيع من الربح لاهزُ

فقال: إزار شرعبيّ، وأربعٌ ... من الشّيزِ أو أواقُ تبرٍ نواجزُ

ثمانٍ من الكوريّ حمر كأنّها ... من الخَمْر ما أذكى على النار خابزُ

وبردان من خالٍ وتسعون درهماً ... على ذاكَ مقروظٌ من القدّ ماعزُ

وظلّ يناجي نفسه وأميرها ... أيأبى الذّي يعطى بها أم يجاوزُ

فلمّا شراها فاضت العين عبرةً ... وفي الصّدر حُزّازٌ من الوَجْدِ حامزُ[٢٢]

فالناظر في هذه الأبيات يرى أساليب البيع والشّراء والعرض والمعاينة والمماكسة والمقايضة، والألفاظ الدّالة على ذلك، وهذا كلّه يؤكّد الجانب الاقتصاديّ الذي كان يحياه العرب في العصر الجاهليّ، وما داموا كذلك، فهذا ينبئ أنّ القوم قد بلغوا شأناً من التّقدم الحضاريّ في الاقتصاد، وأنّ القوم كانوا يتعاملون مع غيرهم من الأقوام، فأفادوا من تجربتهم ومعرفتهم .

ويـــلحّ غوستاف لوبون على تقديم الحجج على علوّ شأن العرب في الجاهليّة، فيقدم لنا بـــرهاناً عقلياً جديداً ينضاف إلى البراهين الفائتة، إذ يبيّن أنّ الآداب واللغة لم تأتِ عفواً أو كيفما اتّفـــق، بل تدلّ على رسوخ في العهد، فيقول" : والحق أنّ الآداب واللغة من الأمور التي لا تأتي عفواً، وهي تتّخذ دليلاً على ماضٍ طويل، وينشأ عن اتّصال أمّة بأرقى الأمم اقتباسها لما عند هذه الأمم الرّاقية من التمدّن، إذا كانت أهلاً لذلك"(٢٣).

وإذا مـــا تدبّـــرنا هذا النّصّ، ألفينا لوبون يشير من طرف خفيّ إلى مسألة لا ندري أهي جـــاءت في نفسه عفو الخاطر، أو أنّه يعنيها ويقصدها، هي أوليّة الشّعر الجاهليّ، أو طفولة الشّعر الجاهـــليّ، وهذه المسألة قد شغلت القدماء والمحدثين وهم يبحثون فيها، إذ يظهر التّساؤل الكبير وهو :هل هذا الشّعر الجاهليّ الذي نقرأ وننشد بهذا السّمو البيانيّ البديع قد ولد هكذا؟ أو ليس لـــه بدايات؟ بمعنى أنّ العقل يملي علينا القول بأنّ هذا الشّعر قد مرّ بمراحل حتّى بلغ هذه المنزلة الرّفيعة .

ولذلك، يرى غوستاف لوبون أنّ الآداب واللغة تدلاّن على ماضٍ طويل، ليثبت رسوخ كعب العرب في الجزيرة، وامتداد حضارتهم في الزّمان، فهم ليسوا بطارئين، بل لهم تاريخ متجذّر .

ثمّ يـــأتي ببرهان عقليّ آخر، إذ يرى أنّ هؤلاء النّاس الذين استطاعوا أن ينشئوا دولة في أقـــلّ من مئة عام موروثاً حضارياً يؤهلهم لذلك، فيقول" :وقد أثبت العرب أنّهم أهل للاقتباس، ولا ريـــب في أنّ العرب الذين استطاعوا في أقلّ من قرن أن يقيموا دولة عظيمة ويبدعوا حضارة عالـــية جديدة، من ذوي القرائح التي لا تتمّ إلاّ بتوالي الوراثة وبثقافة سابقة مستمرّة وبالعرب، لا بأصحاب الجلود الحمر أو الأوستراليين، أنشأ خلفاء محمّد تلك المدن الزّاهرة التي ظلت ثمانية قرون مراكز للعلوم والآداب والفنون في آسية وأوروبة"(٢٤).

إنّ غوستاف لوبون يرى في هذا النّص أنّ العرب لو لم يكونوا ذوي تاريخ طويل وثقافة مستمرّة، ما استطاعوا أن يقيموا دولة، وهذا البرهان العقليّ يلتقي مع البرهان الفائت، حين تحدثنا عن تاريخ الأدب واللغة، وكأنّ الرّجل يريد أن يبيّن أنّ هؤلاء الصّحابة الذين دخلوا الإسلام هم أبـــناء العصر الجاهليّ بما فيه من أدب وثقافة وامتداد تاريخي طويل، لذلك أهّلهم كلّ ذلك إلى أن يكونوا قادة وسادة، فاستطاعوا إقامة دولة.

ويصرّ لوبون على لفظة العرب ويؤكدها حين يقول: "...لا تتمّ إلاّ بتوالي الوراثة وبثقافة سابقة مستمرّة، وبالعرب،" ويؤكّد تميّزهم وارتفاع شأنهم، ثمّ يميزهم من غيرهم من الأقوام، فهم عرق يمتاز بهذه الميزات الفاضلة وليسوا كأصحاب الجلود الحمر أو الأوستراليّين، لذلك أنشأوا حضارة ومدناً زاهية زاهرة دامت ثمانية قرون تشع الآداب والعلوم والمعارف في آسية وأوروبّة.

تاريخ العرب قبل ظهور سيّدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام

ويتابع غوستاف لوبون إظهار تاريخ العرب وتبيين فضائلهم، وأهم شيء في هذا أنّ معظم الجزيرة العربيّة لم تخضع للفاتحين، بله حدودها الشمالية، فيقول: "... إنّ جزيرة العرب نجت من غزو الأجنبيّ خلا ما أصاب حدودها الشّماليّة، وأنّ عظماء الفاتحين من مصريّين وأغارقة ورومان وفرس وغيرهم ممن انتهبوا العالم لم ينالوا شيئاً من جزيرة العرب التي أوصدت دونهم أبوابها".

ولكنّه يؤكّد في الوقت نفسه أنّ الأحباش قد استولوا سنة ٥٢٥م على اليمن، ثمّ جاء الفرس وطردوا الأحباش، ولكنّ هذا لم يكن ممتداً في التاريخ، فيقول: "نعم، إنّ جزيرة العرب كانت حين ظهور محمّد تحت خطر الغزو الأجنبيّ المرهوب، وإنّ الأحباش استولوا في سنة ٥٢٥م على اليمن التي لم تَدِنْ لغير ملوك العرب فيما مضى. وإن الأحباش حاولوا أن يحملوا العرب على التنصّر، فاستطاعوا تنصير بعض القبائل العربيّة، وإن الفرس طردوا الأحباش من اليمن في سنة ٥٩٧م، أي قبل ظهور محمّد بقليل، فأضحى للفرس مرازبة في اليمن وحضر موت وعمان، غير أنّ ذلك كلّه كان لأجل قصير، ولم يصب بلاد نجد والحجاز الواسعة منه شيء"([٢٥]).

ويلحّ غوستاف لوبون بعد عرض طويل لمحاولات احتلال جزيرة العرب على أن جزءاً كبيراً منها لم يقع تحت إصر الاحتلال، فيقول منتهياً في نتائجه: "إذن، من الصّواب قولنا: إنّ القسم الأكبر من جزيرة العرب هو القسم الوحيد الذي لم تطأه أرجل الفاتحين من بلاد العالم المتمدّن على ما يحتمل".([٢٦])

إن لوبون يريد أن يظهر –كما يتراءى لي– أنّ العرب كانوا أمّة عصيّة على قبول الهوان والرضوخ والاستسلام للمستعمر، ولنا في يوم ذي قار دليل على اتّحاد العرب ضدّ الفرس.

كما أن للعرب قدرة متفوّقة على المحاورة والمناكفة والحجاج العقليّ، وقد استطاعوا بذلك أن يردّوا كيد الكائدين عنهم، ودليل ذلك ما فعله عرب الحِجْر "بطرا" حين خاطبوا الملك ديميتريوس حين بلغ ديارهم مهاجما فقالوا : " لماذا تحاربنا ايها الملك ديميتريوس ونحن سكان

الصّحارى التي لا تسدّ فيها خلّة؟ ترانا نقطن في هذه البقاع القاحلة فِراراً من العبوديّة، اقبل هديّتنا وارجع إلى حيث كنت، ستكون من أوفى الأصدقاء لك، ولكنّك إذا رغبت في حصرنا حُرِمْتَ كلّ هناءة، ورأيت عجزك عن إكراهنا على تبديل طرق حياتنا التي تعوّدناها منذ نعومة أظفارنا، وإذا قدرت على أسر بعضنا أيقنت أنّك لن تجد واحداً ممّن أسرت يستطيع أن يألف حياة غير التي ألِفناها"[٢٧].

نعم، لقد تحاور العرب وأظهروا براعة في ذلك، كما أحسنوا إقناع الآخر، وهذا ما حصل في النّصّ الفائت، فقبل الملك هديّتهم، ورضي بما حدث[٢٨].

وكان للحوار قيمة في حياة العربي، وقد بث هذا قصائده، حتّى إنّه قد حاور دابّته، فهذا المثقّب العبديّ يقيم محاورة بينه وبين ناقته، فيقول:

إذا ما قمت أرحلها بليل ... تأوّه آهة الرّجل الحزين

تقول إذا درأت لها وضيني: ... أهذا دينه ابداً وديني

أكلّ الدّهر حلّ وارتحال ... أما يبقى عليّ ولا يقيني[٢٩]

ومن أهمّ سمات الحوار حسن التأتّي إلى الآخرين، فهذا علقمة بن عبدة يذهب سفيراً باسم قومه لإنقاذ أخيه شأس ومن معه بعد وقوعهم في أسر الحارث الغسانيّ، فيقول:

وفي كلّ حيّ قد خبطت بنعمةٍ ... فحق لشأسٍ من نداكَ ذنوبُ[٣٠]

واستطاع العربيّ أن يقيم حِجاجاً عقليّاً مع من يحاور، فلا يقبل الأمور على علاّتها، بل يقلّبها من جميع أوجهها، وقد نزل القرآن الكريم مؤكداً لذلك، فقد قال تعالى: "بل هم قوم خصمون"[٣١]، وقال تعالى كذلك: "ولتعرفنّهم في لحن القول"[٣٢]، وقال تعالى: "وإن يقولوا تسمع لقولهم"[٣٣].

والحوار ميدان رحيب في الشّعر الجاهليّ، فقد حاور الشّاعر الجاهليّ نفسه في أمر المستقبل الحائر، إذ لم يدر ما سيتحصّل له بعد لحظته التي هو فيها، فوجدنا المثقّب العبديّ يحاور نفسه في سؤال المجهول.

وما أدري إذا يمّمت أمراً ... أريد الخير ، أيهما يليني

أ الخـــير الـــذي أنـــا أبتغـــيه أم الشـــرّ الـــذّي هـــو يبتغـــيني[٣٤]

كما حاور الشّاعر ملوك الدّول المجاورة للجزيرة العربيّة، ونشأ أدبُ السّفارات، ولنا في اعتذاريّات النّابغة الذّبياني دليل ناصع، إذ حاور وحاجج:

أتـــاني أبيـــت اللعـــن أنّـــك لمـــتني وتلـــك الـــتي تســـتكّ مـــنها المسامع[٣٥]

وحاور الشّاعر الآخرين، كزوجته ومحبوبته، فهذا عروة بن الورد يحاور زوجه أمّ حسّان التي تعذله على كثرة الإنفاق، ويحاججها بأنّه يريد أن يحقّق لنفسه ذكرى خالدة،

ذريـــني ونفســـي أمّ حســـان إنّـــني بمـــا قـــبل ألاّ أملـــك الأمـــر مشـــتري

أحاديـــث تـــبقى والفـــتى غـــير خـــالد إذا هـــو أمســـى هامـــة فوق صيّر[٣٦]

ويحاور امرؤ القيس محبوبته فاطمة،

أفـــاطم مهـــلاً بعـــض هـــذا الـــتدلّل وإن كنـــت قـــد أزمعـــت صُرْمي فاجملي

أغـــرّك مـــنّي أنّ حـــبّك قاتـــلي وأنّـــك مهمـــا تأمـــري القلب يفْعَلِ[٣٧]

والشّاعر الجاهليّ يحاور الأشياء من حوله، فامرؤ القيس يتحدّث إلى الليل:

ألا أيّهـــا الليـــل الطويـــل ألا انجـــلي بصـــبح ومـــا الإصـــباح منك بأمثل[٣٨]

مظاهر الحضارة العربيّة

يعلي غوستاف لوبون شأن الحضارة العربيّة قبل ظهور النّبي صلّى الله عليه وسلم[٣٩]، إذ يعود إلى الحديث عن العلاقات التجاريّة للعرب بالبلاد الأخرى، وكانت المدن ذات ازدهار كبير، وخاصّـــة مدن اليمن، ويحتفل لوبون بالحديث عن الحضارة الشامخة التي وصلت إليها مدن اليمن، فـــيقول: "ومن الأدلّة على ازدهار مدن اليمن في القرون القديمة ما كان لها من الصّلات التّجارية الواسعة بالبلاد الأخرى[٤٠]، ثمّ يقدّم البرهان العقليّ على أنّ الحضارة والتمدن للأمم لا يأتيان إلاّ بالـــتّجارة؛ لأنّ فيها تواصلاً مع الآخر، فيقول: "وبما أنّ من الصّعب أن نعثر في التّاريخ على أمّة ذات شـــأن كـــبير في التّجارة من غير أن تكون متمدّنة، وبما أنّ علاقات العرب التّجاريّة العالميّة اســـتمرّت ألفـــي سنة، وقد ورد ذكرها في التّوراة، فإنّنا نقول: إنّ العرب ضربوا بسهم وافر في ميدان الحضارة،وإنّه كان لمخازنهم من الأهمّيّة ما لمخازن البندقيّة في إبّان عظمتها[٤١].

ويبين لوبون امتداد العلاقات التجاريّة للعرب، بأن أصبحوا وسطاء بين الأوربيّين والمشرق، لكنّه لم يوثّق هذه المعلومة، فيقول: "وكان العرب واسطة بين قدماء الأوربيين وبقاع الشرق القاصية"[٤٢]، ولا أدري دقة هذا القول وصدقه.

ويتحدّث عن البضائع التي كانوا يتّجرون بها، إذ لم تكن مقصورة على منتوجاتهم، بل امتدّت إلى السّلع الإفريقيّة والهنديّة، فيقول: "ولم تقتصر تجارة العرب على منتجات بلادهم، بل كانت تشمل السّلع التي كانوا يجلبونها من إفريقيّة والهند أيضاً، وكانت النّفائس، كالعاج والعطور والأفاويه والحجارة الكريمة والتبر والأرقّاء، إلخ، أهمّ ما يتاجر به العرب"[٤٣].

ولم يكتف صاحبنا بالحديث عن التجارة دليلاً على حضارة العرب وتمدّنهم، بل يرى أنّ بلاد العرب كانت من أغنى بقاع العالم لوجود القصور فيها، وما في هذه القصور من ذهب وفضّة، ويقتبس من هيرو دتس الذّي وصف تلك البلاد قبل المسيح بنحو أربعمئة سنة فيقول: "ووصف هيرودتس قبل المسيح بنحو أربعمئة سنة، بلاد العرب السّعيدة بأنّها من أغنى بقاع العالم، وأنّه كان في مأرب، أو سبأ التي ورد ذكرها في التوراة، قصور نضرة، ذات أبواب عسجدية وآنية من ذهب وفضّة، وسرر من المعادن القديمة"[٤٤].

كما يقتبس من إسترابون الذّي لم يزد على ما رواه هيرودتس، ثمّ يثبت نصّا للمسعوديّ عن مأرب[٤٥].

وقد جاء ذكر هذه الإشارات الحضاريّة في القرآن الكريم، الذّي فيه سورة كاملة اسمها سورة سبأ، وفيها قول الله تعالى: "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية، جنّتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربّكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور..." [٤٦].

ومّما يؤخذ على غوستاف لوبون في هذا السّياق إسناده الحديث إلى التوراة فقط، إذ كان عليه أن يعود إلى القرآن الكريم، كما ذكرت آنفاً، مع أنّه يتحدّث عن القرآن في فصل خاصّ به حديثاً فيه شيء كبير من الموضوعيّة[٤٧].

ويتخذ غوستاف لوبون من حضارة العرب وما وصلت إليه ومن علاقاتهم التّجاريّة المميّزة دليلاً على أنّ القوم كانوا أهلاً لحمل رسالة الإسلام إلى العالمين؛ لأنّ هذه الرسالة رسالة عالميّة، وليست مخصوصة بقوم وحدهم كالرّسالات السّابقة، لذلك، وجدنا الصّحابة رضوان الله عليهم يسيحون في الآفاق يبثّون رسالة الإسلام، ولم يجدوا في أنفسهم حرجاً من ذلك، لتعوّدهم التواصل

مـــع الآخر من خارج الجزيرة العربيّة، ولإفادتهم من الحضارات الأخرى، فيقول: "ولم يستطع نجم حضـــارة العرب قبل محمّد في اليمن وحدها، فما جاء في أقدم روايات التاريخ عن حضارة الحيرة والغساسنة، يثبت أيضاً درجة استعداد أتباع محمّد للقيام برسالتهم في عالم المدنيّة"[٤٨].

ثمّ ينـــتهي غوستاف لوبون إلى نتيجة بَعد كلّ المقدّمات التاريخيّة التي قدّمها عن الحضارة العربـــيّة إلى أنّ العـــرب ليسوا همج، وهم متحضّرون وظهروا قبل الرّومان فيقول: "ومهما تكن الآثـــار الـــتي ألمعنا إليها آنفاً ناقصة، فإنّها ممّا تتمّ به روايات قدماء المؤلفين، وممّا تبهر من خلاله ازدهار حضارة العرب الغابرة التي نسيها النّاس في الوقت الحاضر، فتنتظر من يكشف الغطاء عنها، والـــتي نرتدع، بما نعرف عنها من العلم القليل، عن عدّ العرب همجاً، والعرب هؤلاء قد ظهروا عـــلى مسرح التاريخ قبل الرّومان بقرون كثيرة، وأنشأوا المدن العظيمة، وكانت علاقاتهم بأرقى شعوب الأرض وثيقة"[٤٩].

أديان العرب

يذكـــر غوستاف لوبون أديان العرب قبل الإسلام ومنها عبادتهم الأصنام، لكنّه يقع في خطـــأ كـــبير إذ يقول عن الكعبة: "...وكان فيها حين ظهور محمّد ٣٦٠ صنماً وصورة، وكانت صـــورة المسيح ومريم العذراء من هذه الصّور كما جاء في تواريخ العرب"[٥٠]، ولا أدري من أين جـــاء بهذه المعلومات، عن وجود الصّور وصورة للسيّد المسيح والسيّدة العذراء عليهما السّلام، فهـــو يقـــول كمـــا جاء في تواريخ العرب، ولكنّه لم يوثّق، ولذلك تبدو هذه الرّواية نازلة وغير صحيحة.

ثمّ يقع في خطأ آخر في حديثه عن الكعبة إذ يقول: "...وقد بنى إبراهيم الكعبة في جزيرة العـــرب كمـــا روى العرب"، وما زال لوبون في المشكلة نفسها إذ لم يوثّق حين يقول: كما روى العرب، ومن المعلوم أنّ هذا مذكور في القرآن الكريم، فقد قال تعالى: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيلُ ربّنا تقبّل منّا إنّكم أنت السّميع العليم"[٥١].

ثمّ يتحدّث عن بذور التوحيد في الجزيرة العربيّة فيقول: "ووجدنا في ثنايا تلك العبادات المختـــلفة بـــذور توحيد ممّا تعهّد محمّد إنماءه فيما بعد"[٥٢]، ويذكر بعد ذلك بقليل أنّ عدداً من العرب قد كانوا موحّدين، فيقول: "ووجد بين العرب، فضلاً عن النّصارى واليهود الذّين لم يكن عددهم قليلاً في جزيرة العرب من يعبدون إلهاً واحداً، وسمّي هؤلاء بالحنفاء"[٥٣].

إنّ المدقّق والمتفحّص في هذا القول يتبيّن أنّ غوستاف لوبون يشير إلى أنّ الإسلام قد جاء وبعض الطريق ممهود أمامه، فبعض العرب كان على دين إبراهيم، وهو دين التوحيد،وهؤلاء هم الحنفاء[٥٤].

ولا يعني قولنا هذا بأنّ التي صلّى الله عليه وسلّم لم يواجه عقاباً ولا شدائد، فقد قاسى وعانى، ولكنْ، يستدلّ من الذّين دخلوا الإسلام ما ورد في الحديث "خياركم في الجاهليّة خياركم في الإسلام، إذا فقهوا"، وفي الحديث: "إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق".

وهذا يؤيّد الإشارة التي ذكرها لوبون بالعرب، حين ذكر أنّهم أهل لحمل رسالة الإسلام إلى العالمين، إذ إنّ عندهم المؤهّلات الواضحة لذلك، كالقدرة على الحوار، والتأثير في الآخر، ومعرفة بعضهم بالتّوحيد، فهذه أمور اختارهم الله من أجلها ليحملوا رسالته إلى كلّ النّاس.

ويتكلّم غوستاف لوبون على فضيلة مهمّة عند هؤلاء الحنفاء، هي الإيمان بالقضاء والقدر، فيقول: "وليست عقيدة التّوحيد التي هي من أهمّ مبادئ القرآن، كلّ ما عند الحنفاء، بل قالوا أيضاً، كما قال القرآن فيما بعد، إنّ على الإنسان أن يسلّم بقضاء الله وقدره تسليم إبراهيم حينما رأى ذبح ابنه إسحاق"[٥٥].

وقد وقع صاحبنا في تعميم غير حميد، حين وصف هؤلاء الحنفاء بأنّهم مؤمنون بالقضاء والقدر، إذ إنّ هذا الحكم المعمّم غير قائم على دليل واضح وصريح، ثمّ إنّ هذين المصطلحيْن مصطلحان إسلاميّان، ولم يعرفا في الجاهليّة، لذلك بنى غوستاف لوبون هذا الحكم بلا ترجيح ولا مرجّح، سوى أنّه أتى بحادثة ذبح إبراهيم لولده إسحاق، وأحسب أنّ العرب لم يكونوا على علم بها إلاّ حين أخبرهم بها القرآن الكريم بعد البعثة.

ثمّ إن لوبون أشار إلى حادثة الذّبح،وأنّ الذّبيح هو إسحاق، ولم يوثّق هذا بمعنى أنّ بين المفسرين خلافاً في الذّبح: أهو إسحاق أم إسماعيل، وقد أورد القضيّة بأنّ الذّبيح هو إسحاق تأكيداً من غير دليل واضح، وهذا خلل لا ينبغي الوقوع فيه.

المرأة الجاهلية

يبدو طرح غوستاف لوبون في شأن المرأة الجاهليّة معتاصا ، إذ هو بحاجة إلى توقّف، فيقول: "وكان الرّجال قبل ظهور محمّد يعدّون منزلة النّساء متوسّطة بين الأنعام والإنسان من بعض الوجوه، أي أداة للاستيلاد والخدمة، وكانوا يعدّون ولادة البنات مصيبة، وشاعت عادة الوأد،

وصار لا يُجادَلُ فيها كما لو كانت البنات جراء يقذف بها في الماء"[٥٦].

وهذا الرّأي بحاجة إلى مناقشة، إذ يحتوي على القضايا الآتية:

أوّلاً: أنّ الـرّجال يعدّون المرأة في منزلة متوسّطة بين الإنسان والأنعام، وهذا كلام غير دقيق، بل متهافـت، فالشّعر يخبرنا بغير ذلك، فقد أكرموها ووصفوها بأجمل الأوصاف، وحسبنا الفتـاح كـثير مـن الشعراء بالحديث عنها، ممّا لا نستطيع حصره في هذه الصفحات، ودافعوا عنها، واحترموها، والحكم بأنّها بين الإنسان والأنعام حكم جائر، وما زلنا نقول: إن صـاحبنا لا يوثّق، فما مصدر هذا الحكم؟ إنّ استقراءً لحال المرأة الجاهلية الحرّة ينبئنا أنّها كانت عقيلة وسيّدة ومكرّمة ورأيها يحترم، حتّى إنّها كانت تبدي رأيها في الزّواج، كما فعل عتبة بن ربيعة مع ابنته هند[٥٧]، وكانت تملك حق اختيار الزّوج،وهذا ما فعلته خديجة مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الجاهليّة كذلك.([٥٨])

أمّـا إن أراد لوبون الحديث عن غير الحرائر من النّساء، أعني الإماء، فذلك أمر لا يقـاس علـيه، فنحن معنيّون بالعقائل والحرائر، أمّا الإماء، فلطبيعة العبوديّة المنتشرة في زمانهم.

ثانـياً: أنّهـم كانوا يعدّون ولادة البنات مصيبة، وهذا حكم صحيح، ولكن لا نستطيع تعميمه، فالتّعميم خطأ فادح، إذ لم يكن الأمر كذلك في الجاهليّة كما وضّحنا، غير أنّنا وجدنا من يتّصـفون بهذه الصفة كما جاء في قول الله تعالى: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى، ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به، أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب، ألا ساء ما يحكمون"[٥٩].

وهذه حالات كانت موجودة عند بعضهم، ولكنّها لا ترقى إلى أن تكون ظاهرة عامّة في المجتمع.

ثالثاً: وشاعت عادة الوأد، وهذا قول غير دقيق، وهو بحاجة إلى الحجّة والدّليل، وقد ناقشت قضيّة الـوأد في بحثي: "محاولات التّجديد في القيم العربيّة في العصر الجاهليّ" وانتهيت إلى أنّ هذه القضيّة قد ضخّمت ووضعت في غير حجمها الطّبيعيّ، وقد ذكرت في ذلك البحث أسمـاء القـبائل التي كانت تئد، وليست عادة الوأد كما يظنّها كثير من النّاس، وإنّما ذكرها الله تعالى في كتابه –على قلّة فاعليها– لأنّها تتّصل بالإنسان ووجوده وكرامته، ثمّ

إنه ليس لهذه العادة صدى في الشّعر الجاهليّ، إلاّ في أبيات قلائل، كما أنّا وجدنا من ثار عليها من أهل الشّرف والفضل، ومنهم صعصعة بن ناجية التّميميّ جدّ الفرزدق، وزيد بن عمرو بن نفيل، فقد كانا نصيرين للمرأة، وسمّي أحدهما محيي الموؤودة. (٦٠)

كلمة أخيرة

لقد استعرضنا أهم القضايا التي أوردها غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" عن العصر الجاهليّ، وناقشناها وبيّنا الآراء الفاضلة وزدنا في توضيحها، وفنّدنا الآراء غير الدّقيقة وأوردنا الرّدود العلميّة عليها، ومع ذلك، فـ"إنّ نظرة مدقّقة متفحّصة لكتاب "حضارة العرب" تؤكّد أنّه كتاب أنصف فيه مؤلّفه الدّكتور غوستاف لوبون حضارتنا العربيّة الإسلاميّة إلى حدّ بعيد، ونتيجة طبيعيّة لهذه النّظرة الشّاملة، يقرّر الدّارس أنّ إنصاف المؤلّف واضح ملموس،وحسن النّيّة متوفّر لا ريب فيه،وإنّ الهفوات التي وقع فيها تؤخذ على محمل حسن، بعيد –كلّ البعد– عن الحقد والدّسّ والافتراء، لانطلاق (لوبون) من أرضيّة الإعجاب بحضارة غير منتمٍ إليها، لها دورها الكبير في النّهضة المعاصرة، والتّقدم الحضاريّ العلميّ الحاليّ، فأراد إنصافها، وتقديم روائعها لبني قومه، ليبدّد أوهامهم الموروثة حولها"(٦١).

إنّ لشخصيّة غوستاف لوبون مفتاحاً، فقد "أعجب بتراثنا وآثارنا، وأحبّ العرب وسماحتهم في فتوحهم،ولمس إبداعهم في بناء حضارتهم، التي كانت سبب صحوة أوروبة الحديثة عندما احتكّت بها"(٦٢).

ويرى شوقي أبو خليل صاحب كتاب "في الميزان: غوستاف لوبون" "أنّ مفتاح شخصيّة الرّجل هو عدم أخذه بدراسات الاستشراق الظّالمة، مع كرهه لليهود، فتحرّر من تأثير دراساتهم وأحكامهم ووجهات نظرهم حول تاريخنا وحضارتنا، فجاءت آراؤه منصفة عادلة بشكل عامّ، وعندما أخطأ أو كبا، ما أخطأ عن تعصّب أو حقد، وما كبا عن سوء قصد"(٦٣).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أسماء جبال تهامة وسكانها، وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، رواية السّيرافي بإسناده إلى عرام بن الأصبغ السّلميّ، ضمن كتاب: نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١–١٩٩١م .

٢. الاشـــتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣- ٣٢١هـــ)تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـــ١٩٩١م .
٣. الإصـــابة في تمييز الصحابة ، تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عـــلي الكـــناني العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر(٧٧٣-٨٥٢هـــ)دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (د.ت) .
٤. الأمالي، تأليف أبي عليّ إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، د. ت.
٥. بلـــوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تأليف السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجت الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان (د.ت) .
٦. الجـــامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط ٤ : ١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م .
٧. جمهـــرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام، تأليف أبي زيد محمّد بن أبي الخطّاب القرشيّ، حقّقه وعلّـــق عليه وزاد في شرحه الدّكتور محمّد عليّ الهاشميّ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـــ-١٩٧٩م، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٨. حضارة العرب، تأليف الدّكتور غوستاف لوبون، نقله إلى العربيّة عادل زعيتر، القاهرة، الطّبعة الثّالثة، ١٩٥٦م، طبع بدار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٩. ديـــوان الأعشـــى، ميمون بن قيس، شرح وتعليق الدّكتور محمّد محمّد حسين، المكتب الشّرقيّ للنّشر والتّوزيع، بيروت-لبنان، د.ب.
١٠. ديوان النّابغة الذبياني، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثّالثة، دار المعارف .
١١. الســـيرة النـــبوية ، لابن هشام (ت٢١٨هـــ) حققها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهـــيم الأبـــياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م – ١٤١٥ هـــ .
١٢. شـــرح أشـــعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، حقّقه عبد السّتار أحمد فرّاج، راجعه محمود محمّد شاكر.
١٣. شرح ديوان امرئ القيس، لأبي جعفر النّحاس (ت ٣٣٨هـــ)، قرأه ووضع فهارسه وعلّق عليه

د. عمر الفجّاويّ، وزارة الثّقافة، عمّان –٢٠٠٢م.
١٤. في الميزان: غوستاف لوبون، شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، دار الفكر، دمشق–سورية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.
١٥. مؤتمر: مناهج التجديد في العلوم الإسلاميّة والعربيّة، كليّة دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م.
١٦. المفضّليّات، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر وعبد السّلام محمّد هارون، الطّبعة السّادسة، بيروت– لبنان.
١٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، المتوفى ٥٩٧هـ ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط٢ ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م .

الهوامش:

(١) حضارة العرب: ٨٧.
(٢) المصدر السابق: ٨٧.
(٣) المصدر السابق: ٨٧.
(٤) المصدر السابق: ٨٧.
(٥) المصدر السابق: ٨٧.
(٦) المصدر السابق: ٨٧–٨٨.
(٧) المصدر السابق: ٨٨.
(٨) حضارة العرب: ٨٨.
(٩) المصدر السابق: ٨٨.
(٩) المصدر السابق: ٨٨.
(١٠) الواقعة: ٦٤.
(١١) التين: (١–٢).
(١٢) الواقعة: ٢٠.
(١٣) الأنعام: ١٤١.

(١٤) أسماء جبال تهامة وسكانها ٢:٤٢٨.

(١٥) المصدر السابق: ٢:٤٢٨ – ٢:٤٢٩.

(١٦) المصدر السابق: ٢:٤٣١.

(١٧) ديوان الأعشى: ٤٠٣.

(١٨) ديوان الهذليين: ١٣٣.

(١٩) حضارة العرب: ٨٨.

(٢٠) المصدر السابق: ٨٨.

(٢١) جمهرة أشعار العرب: ٢:٥٦٥.

(٢٢) المصدر السابق: ٢:٨٣٢.

(٢٣) حضارة العرب: ٨٨.

(٢٤) حضارة العرب: ٨٨.

(٢٥)المصدر السابق : ٩٤

(٢٦)المصدر السابق : ٩٤

(٢٧) حضارة العرب: ٩١_٩٢ .

(٢٨) المصدر السابق: ٩٢.

(٢٩) المفضليات: ٢٩٢.

(٣٠) المصدر السابق: ٣٩٦.

(٣١) الزخرف : ٥٨ .

(٣٢) محمد : ٣٠ .

(٣٣) المنافقون : ٤ .

(٣٤) المفضليات: ٢٩٢.

(٣٥) ديوان النابغة: ٣٤.

(٣٦) جمهرة أشعار العرب: ٢ : ٥٧٩ .

(٣٧) ديوان امرئ القيس: ٢٠.

(٣٨) المصدر السابق: ٣١.

(٣٩) حضارة العرب: ٩٤–٩٧.

(٤٠) المصدر السابق: ٩٥.

obeikandi.com

(٤١) المصدر السابق: ٩٥.

(٤٢) المصدر السابق: ٩٥.

(٤٣) المصدر السابق: ٩٥.

(٤٤) المصدر السابق: ٩٤.

(٤٥) المصدر السابق: ٩٤-٩٥.

(٤٦) سبأ: ١٥.

(٤٧) المصدر السابق: (١١٧-١٢٩).

(٤٨) المصدر السابق: ٩٦.

(٤٩) المصدر السابق: ٩٧.

(٥٠) حضارة العرب: ٩٩.

(٥١) البقرة: ١٢٧.

(٥٢) حضارة العرب: ٩٩.

(٥٣) المصدر السابق: ٩٩-١٠٠.

(٥٤) ذكرت بعضاً من هؤلاء في بحثي المقدّم إلى مؤتمر جامعة المنيا الموسوم بـ:"محاولات التجديد في القيم العربيّة في العصر الجاهلي": ٢٠٠٥.

(٥٥) حضارة العرب: ١٠٠.

(٥٦) حضارة العرب: ٤٠٢-٤٠٣.

(٥٧) الأمالي: ١٠٤:٢.

(٥٨) السيرة النبوية ١ : ٢٢٤ .

(٥٩) النحل : ٥٨ .

(٦٠) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ٢٠٢ ، و بلوغ الأرب ٣ : ٤٥ ، والمنتظم ٢ : ٣٣١ ، و ٥ : ٢٦٤ – ٢٦٥ ، والإصابة : ٣ : ٣١٠ ، والاشتقاق : ٢٣٩ .

(٦١) في الميزان: غوستاف لوبون: ١٧.

(٦٢) المرجع السابق: ١٧٧.

(٦٣) المرجع السابق: ١٧٨.